

## اضواء على حياة العلامة أحمد رضا القادري البريلوي وخدماته العلمية والدينية

محمد أحمد المصباحي

هو شيخ الاسلام والمسلمين ( ت ١٣٤٠ هـ ) مجدد الامة الامام  
أحمد رضا بن الشيخ مولانا نقي علي خان القادري الحنفي  
البريلوي ، كان من أكابر علماء الهند ونوابغ القرن الرابع عشر  
الهجري ، يندر نظيره في عصره بل في عدة قرون ماضية ، فانه رئيس  
المفسرين وامام المحدثين ، وأفقه العلماء ، وأجود المتكلمين في  
المعاصرين - له طول الباع في نحو خمسين علما وصنف في جميعها  
فهذا مما تفرد به الشيخ فان أحدا من المتقدمين لم يصنف في  
أكثر من خمسة وثلاثين فنا .

ولد في مدينة بانس بريلي بالهند الشمالية في العاشر من  
شهر شوال ١٢٢٣ هـ الموافق ١٤ يونيو ١٨٥٦ م - وتوفي في ٢٥  
صفر عام ١٣٤٠ هـ الموافق ٢٨ اكتوبر ١٩٢١ وكان اليوم يوم  
الجمعة .

تشرف بزيارة الحرمين مرتين - مرة ٩٦ - ١٢٩٥ هـ  
وأخرى ٢٣ - ١٣٢٤ هـ فقام في مدة اقامته في الحجاز بالبحوث

العلمية والمناقشات مع أكابر العلماء ، وصنف عدة تصنيفات ،  
واعترف علماء الحرمين الشريفين برئاسته فى العلوم الاسلامية ،  
ونوهوا بشانه وأجلوه اجلالا كبيرا .

وجديرة بالذكر فى هذا المقام واقعتان ، تشهدان بفقاهته  
الراسخة ، وذهنه الوقاد ، وفكره البالغ . واعتراف علماء الحجاز  
بعلو كعبه فى العلوم .

(١) سافر الى الحرمين الشريفين فى السادس والعشرين من  
شوال ١٢٩٥ هـ مع أبويه الكريمين وهو اذ ذاك ابن ثلث وعشرين  
سنة - فوقع له فى هذه الزيارة الكريمة أنه كان يوما يصلى  
فى مقام ابراهيم فلما انصرف عن صلوته استقبله الشيخ  
حسين بن صالح كمال امام الشافعية ( المتوفى ١٣٠٣ هـ ، ١٨٨٤ م )  
مع أن التعارف بينهما لم يكن قط فأتى وأخذ بيد الشيخ أحمد رضا  
ومشى به الى بيته ، وقال مرارا واضعا يده على جبهته المشرقة :  
والله انى لأجد نور الله من هذا الجبين ، ثم رقم بيده اجازة  
الحديث واجازة الطريقة القادرية ومنحها للامام أحمد رضا . وقال  
اسمك ، ضياء الدين أحمد ، - واقترح عليه امام الشافعية أن  
يصنف شرحا لكتابه « الجوهرة المضيئة » فشرحها شرحا وافيا  
فى يومين فقط . سماه « النيرة الوضية فى شرح الجوهرة المضيئة »  
ثم علق عليها تعليقا سماه « الطرة الوضية على  
النيرة الوضية » . (١) .

(٢) ومما وقع فى رحلته الثانية الى الحجاز المقدسة ما بينه  
فى بعض تصانيفه (٢) .

استفتانى الشيخ عبدالله مرداد ، والشيخ حامد أحمد محمد الحدادى فى ورقة النقد ( النوط ) . وكان الاستفتاء يحتوى على اثنى عشر سؤالاً فصنفت مجيباً عنها رسالتى « كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم » ( ١٣٢٤ هـ ) فى نحو يومين بكمال الاستعجال .

كانت الرسالة عند الشيخ السيد مصطفى - الاخ الصغير للشيخ السيد اسمعيل - فى مكتبة الحرم لبيضه - فان خطه فى غاية الرشاقة والحسن - وفى سابق الزمان سئل أستاذ أساتذتى فضيلة الشيخ جمال بن عبدالله بن عمر المكى مفتى الحنفية عن ورق النقد فأجاب : العلم أمانة فى أعناق العلماء - المسئلة حديثة ولم أطلع على جزئية فيها - والله اعلم .

ذهب يوماً الى مكتبة الحرم فاذا أنا بشيخ جليل يطالع رسالتى «كفل الفقيه» فلما بلغ المقام الذى أوردت فيه العبارة التالية من فتح القدير - « لوباع كاغذة بألف يجوز ولا يكره » تهلل بشرا وضرب على فخذه قائلاً : « أين كان جمال بن عبدالله من هذا النص الصريح » .

ثم استخرج كتباً لتحقيق مسئلة ، وأراد أن ينقل شيئاً من عبارات الكتب - وكنت مشتغلاً بتصحيح نقل الرسالة - فلا عرفنى ولا عرفته الى ذلك الحين - واذا هو قد وضع الدواة على كتاب لم يكن يطالعه ولا ينقل منه - فما أنكرت عليه بل وضعت الدواة عن الكتاب تعظيماً له - فوضع ثانياً على الكتاب وقال : فى كتاب الكراهية من البحر الرائق تصريح بجوازه - فلم أقل

له : لم يصل البحر الرائق الى كتاب الكراهية بل انقضى فى كتاب القضاء .

نعم قلت له : ليس كذلك - بل صرح البحر بالمنع الا ان يحتاج اليه حين النقل والكتابة مثل ان يطير الورق بالريح - وأرسته ذلك التصريح فى البحر الرائق - فقال : انما اريد النقل والكتابة .

قلت : لكن لست الآن كاتباً وناقلاً منه .

فسكت وسأل عنى السيد اسمعيل فقال له « هذا هو مصنف هذه الرسالة » فقابلنى لكن خجلاً ثم رجع عجبلاً - وذلك فى الرابع من صفر المظفر ١٣٢٤ هـ . »

وذلك الشيخ الجليل كان مفتى الحنفية عبد الله بن صديق بن عباس . ومنصب مفتى الحنفية كان بالمنزلة الثانية من السلطان - وهذا هو المنصب الذى منعه من لقاء الشيخ أحمد رضا قبل ذلك اليوم - فلم يات الى مكان اقامته بل دعاه الى بيته فأراد الشيخ أن يجيب الدعوة ويقابله - لكن قال السيد اسمعيل محافظ مكتبة الحرم : والله لن يكون هذا - أكابر العلماء يأتونك للقاءك فلم لا يأتى هو - فامتنع الشيخ أحمد رضا ليمين السيد المحترم - رحمهم الله جميعاً .

ومجمل انطباعات علماء المدينة المنورة ما ابداه الشيخ الصالح محمد كريم الله الفنجابى مجاور الحرم المدنى تلميذ الشيخ عبدالحق الا له ابادى المهاجر المكى ( المتوفى ١٣٣٣ هـ ) وقال للامام أحمد رضا :

انى مقيم بالمدينة الأمانة منذ سنين - وياتيها ألوف من العالمين . فيهم علماء وصلحاء واتيقاء - ورأيتهم يدورون فى سكك البلد - لايلتفت اليهم من أهله أحد - وأرى العلماء والكبار العظماء اليك مهر عين ، وباجلا لك مسرعين . ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٣) .

ومن أراد الاطلاع على تفصيل ما أعرب علماء الحرمين المكرمين من انطباعاتهم الجميلة فى الامام أحمد رضا فليراجع الى الكتب التالية ، فكلها مطبوعة توجد فى المكتبات والنوادي العلمية :

- ( ١ ) فتاوى الحرمين برجف ندوة المين (٤) ( ١٣١٧ هـ )
- ( ٢ ) حسام الحرمين على منحر الكفر والمين (٥) ( ١٣٢٤ هـ )
- ( ٣ ) الاجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة ( ١٣٢٤ هـ )
- ( ٤ ) كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم ( ١٣٢٤ هـ )
- ( ٥ ) الفاضل البريلوى كما يراه علماء الحجاز - بالأردية - للبروفيسور محمد مسعود أحمد المجددى .

ومن أحسن الدلائل على مقدرته الهائلة على خمسين فنا مؤلفاته فيها (٦) ، فان تصانيفه ليست جمعا وتلفيقا واجتناءً من الكتب السابقة فحسب - مثل مؤلفات بعض المصنفين من معاصريه - بل هى تزخر وتتدفق بأبحاث وتحقيقات وافادات وافاضات لم يسبق اليها ولم يسمح بها قلم ولا كتاب .

منها مجموعة كبرى لفتاواه فى اثنى عشر مجلداً ، كل مجلد يحتوى على نحو ألف صفحة - تسمى « بالعطايا النبوية فى الفتاوى

الرضوية ، تدل على سعة اقتداره فى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية والعقلية كما لا يخفى على من تشرف بمطالعتها .

كانت له ملكة استنباط الأحكام فى المسائل الحديثة التى لا يوجد فيها نص من القدماء ، واذا وجد النص تورع عن الاستنباط من القرآن والحديث - الا لحاجة تدعوا اليه - يقول : ليس للمقلد أن يجتهد ويستنبط من الأصلين - بل عليه أن يقتنع بما بينه أئمة المذهب وبما صححه ورجحه الفقهاء - ومن أراد شيئا من تفصيل عبقريته فى الفقه والاصول فليراجع الى مقدمة الاستاذ افتخار أحمد القادري على جد الممتار (٧) للامام أحمد رضا ومقدمتى عليه .

وقصارى القول أنه لا يوجد فى تاريخ الفتاوى أى مجموعة أجل وأعظم من العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية - ولا يعدها أرباب العلم والفتوى فى درجة الفتاوى بل هى معدودة فى درجة الشروح المعتبرة الجليلة - ورأى العلامة السيد اسمعيل خليل حافظ مكتبة الحرم المكى بعض فتاوى الامام فكتب اليه : ,, والله أقول والحق أقول انه لورآها أبو حنيفة النعمان لأقرت عينه ، ولجعل مؤلفها من جملة الأصحاب ,, (٨)

وأكثر فتاوى الامام أحمد رضا فى الأردية ، وبعضها فى الفارسية والعربية ، فكان دأبه الاجابة باللغة التى سئل فيها - أما مصنفاتها الأخرى فهى ايضا فى هذه اللغات الثلث - لكن كثيرا ما يكون تحقيقاتها العلمية الهامة فى العربية لميله الطبيعى اليها - كأنها لغته الوطنية . فانا نرى ونحس فى تصانيفه الأردية والفارسية أيضا أن الأبحاث العلمية تتجلى فى ذهنه الناقب

بالعربية أولا ثم يحولها الى اللغة الأخرى - كما سيظهر على من تأمل في مصنفاته من الذين تمكنوا من العربية والأردية أو الفارسية معا . الا انه كثيرا ما يورد ( و أحيانا يخترع ويبتكر ) الامثال و المحاورات الأردية و الفارسية خاصة في تصانيفه الكلامية وغيرها حين المخاطبات و الافادات . وليس ذلك الا لعظيم اقتداره على الأردية و العربية و الفارسية جميعا - ولكن تجلى الأبحاث العلمية في ذهنه بالعربية يدل على ميله الطبيعي اليها .

والجدير بالذكر أنه على الرغم من تمكنه من العلوم الكثيرة كان شاعرا مجيدا - مع أن الاجادة في الشعر والنثر معا ندرت منذقديم الزمان ، أما الاجادة في النثر والنظم مع الاجادة في البحوث العلمية الدقيقة اليابسة فأقل وأندر .

يمتاز شعره بالطابع الاسلامى والفكر الدينى ، وتتجلى فيه الروعة الأدبية والبراعة الفنية ، ويتقوى بالآيات القرانية والأحاديث النبوية ونصوص الأئمة ، والى جانب ذلك فكره القويم وذوقه السليم ، وكل ذلك يعجب الأسماع ، وينشط الأذهان وينير الأفكار ويهز المشاعر ويرهف العواطف .

وأكثر شعره فى المديح النبوى وليس ذلك الا لعميق صلته بالنبى صلى الله عليه وسلم وتمكن حبه الكريم على سواد قلبه - فكان لا يكاد يمك ما فى ضميره من عواطف الحب ودواعى التعظيم والاجلال فتتشكل صورة الشعر - ومع ذلك لا يوجد فى أى بيت له غلو ولا تقصير ، ولا أى لفظ مما لا يحسن استعماله فى حضرة النبى الكريم عليه أفضل الصلوة وأكرم التسليم .

وشعره ايضا باللغات الثلثة مع غاية الجمال والفصاحة  
والسلاسة . واعترف بها أدباء اللغات الثلث - ولولا مخافة الاملال  
لذكرت بعض انطباعاتهم .

وأما أفكاره العالية وتخيلاته الدقيقة ومعانيه النبيلة فمما  
لا يحول دونه فكر أحد من الشعراء الأجلة المعاصرين .

وقد طبعت مجموعة شعره « حدائق بخشش ( ١٣٢٥ هـ ) »  
وعنى بها الشعراء العادلون والأخبار الناقدون فى الهند و باكستان -  
أكثرها بالأردية وقليل منها بالفارسية لكنها تكفى شهادة لبراعته فى  
الشعر الفارسى - أما شعره العربى فلم يجمع - نعم يوجد منه قليل  
متفرق فى بعض تصانيفه كالفتاوى الرضوية والطارى الدارى  
وغيرهما .

وأحسن طريق لمن أراد البحث عن نبوغ الامام أحمد رضا فى  
العلوم والفنون أن يطالع تصانيفه الجليلة مطالعة عميقة أنيقة . انه  
سيجد أكثر وأبلغ مما وصفناه ويستخرج كنوزًا من الحقائق الثمينة  
والمعارف الغالية والأبحاث المتينة والأفكار الدقيقة مع قلة المبانى  
وكثرة المعانى . والله الموفق للخير وبنعمته تتم الصلحت .

### المراجع

- ( ١ ) تذكرة علماء الهند - بالفارسية للمولوى رحمن على - ص ١٦ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج ١  
كراسة ٥ ص ٢٨٠ -
- ( ٢ ) ملفوظاته المرتبة - جد الممتار على رد المختار - النسخة المخطوطة للمجمع الاسلامى بمباركفور  
ج ١ ، ص ٢٢ كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم ص ١٥٧ - ١٥٨ -



- ( ٣ ) الاجازات المتينة ص ٢٥٤ - من مجموعة الرسائل الرضوية ج ٢ -
- ( ٤ ) فى الرد على العلماء الذين اسسوا جمعية ندوة العلماء و دارالعلوم التابعة لها يلكهنو بالهند الغير المنقسمة فى نهاية القرن الماضى الميلادى ، وكان صاحب الترجمة الشيخ أحمد رضا من أشد المنتقدين والمعارضين لحركة ندوة العلماء لاسباب شرحها فى مؤلفاته وكتاباتة ، منها هذا الكتاب ( رئيس التحرير )
- ( ٥ ) فى الرد على على العلماء المنتميين الى مدرسة ديوبند الشهيرة ، وكان صاحب الترجمة من أشد منتقدى هذه الجماعة ايضا - ( رئيس التحرير )
- ( ٦ ) من اراد الوقوف على مصنفات الامام فليراجع الى : ( ١ ) الجمل المعدد لتاليفات المجدد ( ١٣٢٧ هـ ) . و ( ب ) مرآة التصانيف - للاستاذ عبدالستار القادري - يطلب من المكتبة القادرية بلاهور ( ج ) وتصانيف رضا للأستاذ عبدالمبين النعمانى - سيطلع ان شاء الله تعالى - يطلب من المجمع الاسلامى بمبار كفور الهند
- ( ٧ ) حاشية على رد المختار للعلامة محمد أمين الشامى و يطبع مجلده الأول تحت اشراف المجمع الاسلامى بمبار كفور و يطلب من العنوان التالى : الحاج محمد فاروق المحترم ٣١ / دى ١٨٣ - مدنيوره ، وارنسى ، الهند .
- ( ٨ ) الاجازات المتينة ص ٢٥٨ من مجموعة الرسائل الرضوية ج ٢

